

- هل هناك مدارس ؟

اختلفت الآراء في اثبات وجود مدارس نحوية متنوعة:

أولاً : فقد قال بعضهم انه لا توجد الا مدرسة نحوية واحدة هي مدرسة البصرة ، وانكروا وجود مدرسة باسم مدرسة الكوفة أو غيرها ومن ممثلي هذه الفرقة:-

١- **جو تولد فايل :** الذي يتشكك في قيام مدرسة كوفية، ومن ثم لا يرى قيام مدرسة بغدادية اذ إنها ليست الا امتزاج المدرستين البصرية والكوفية معاً حيث قال في مقدمة (الانصاف) : (" انهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة ") واستدل على هذا بأن خلافاً نحائياً ولاسيما الكسائي والفراء مع الخليل وسيبويه انما هي امتداد لما سمعاه من استاذهما (البصري يونس بن حبيب) الذي نص القدماء على أن له قياساً في النحو خاصاً به ومذاهب ينفرد بها , و استدل على ذلك بأن جميع المواضع التي ذكر فيها (ابن الانباري) اسمه في كتابه (الأنصاف) ينكر فيها الكوفيين متابعين له في آرائه ، وبأن الزمخشري ذكر في مفضله خمس مسائل تابع فيها الكوفيون يونس، واستدل بالخلافات التي كانت تكثر بين الكسائي وتلميذه الفراء مؤيداً أدلته السابقة. على عدم وجود مدرسة كوفية .

- ولا تعد هذه ادلة لـ (جوتولد فايل) على انكار وجود (مدرسة كوفية) او التشكك في وجودها , لان متابعة الكوفيين ليونس لا تدل على أنهم اخذون بمذهبه ، وانهم غير مستقلين بآراء خاصة بهم ، والان هذه المسائل التسع التي نكر فيها (ابن الانباري) و (الزمخشري) متابعة الكوفيين لـ (يونس) فيها لا تعد شيئاً اذا ما قيست بالآراء التي تابع فيها الكوفيون البصريين ولا سيما (الخليل و سيبويه)، فالنحو الكوفي , انما اعتمد في وجوده على النحو البصري . و وافقه في أصول منهجه وفي اغلب الفرع. وقال الكوفيون بمعظم ما قال به البصريون من آراء ، وما خالفوهم فيه انما هو آراء جزئية ومسائل فرعية خرجوا بها عنهم لتفسيرهم إياها تفسيرات جديدة ، أو لسماعهم فيها أدلة وشواهد جديدة لم يسمعها البصريون استدرك بها الكوفيون أحكاماً جديدة أو اقيسة مخالفة .

وعلى كل حال فلم يكن (جوتولد فايل) الوحيد الذي انكر وجود مدرسة نحو كوفية انما حذت حذوه (دائرة المعارف الاسلامية) في انكار وجود هذه المدرسة.

٢- **الاستاذ علي أبو المكارم :** ذهب مذهب (جوتولد فايل) فقال بفساد ((تلك الفكرة التي شغلت كثيراً من الدارسين في النحو العربي قدامى ومحدثين ، وهي وجود مدارس نحوية يتميز كل منها بأسلوبها الخاص ومنهجها الذاتي . ويؤكد (ذلك) ... أن المنهج الذي سارت فيه الدراسة النحوية واحد في مُدنه المختلفة تحكمه قواعد عامة لم يخرج عليها وان تفاوت تأثير بعضها في بعض .

وأن ليس ثمة مدارس بالمعنى الذي يقطع بوجود منهج متميز لكل منها في النحو، وانما هناك تجمعات مدنية ، وهذه التجمعات تتحرك في اطرار متشابهة وتطبق اصولاً واحدة ، وان اختلفت فيما بينها في بعض الجزئيات فإنه اختلاف لا ينفي عنها وحدة المنهج واتفاق الأصول . ويرى أن ((لا تناقض في أن يكف الخليل رأس المدارس النحوية جميعاً، لان وجود تجمعات مدنية في البصرة والكوفة ثم في بغداد ومصر والاندلس لا يسلم بالضرورة الى القول بتعدد مناهج هذه التجمعات وتباينها)).

ثانياً : فريق اخر من النحويين اثبتوا وجود مدرستين بصرية وكوفية ، وتردد في القول بوجود مدرسة بغدادية ومن ممثلي هذه الفرقة:-

١- **الدكتور مهدي المخزومي :** ففي موضع انكار وجود مدرسة بغدادية و رأى أن هناك مدرستين بصرية وكوفية قال: ((" تردد اسم البغداديين كثيراً في اثناء القرن الرابع بإزاء الكوفيين والبصريين حتى ليخيل للدارس أن البغداديين كانوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقتهم الخاصة ومذهبهم المتميز. وجاء المتأخرون من النحاة فرأوا اسم البغداديين يذكر الى جانب الكوفيين والبصريين فذهب بهم الوهم بعيداً وراحوا يركبون الصعب في تصوير مذهب ثالث يقف بإزاء مذهب أهل البصرة ومذهب أهل الكوفة وهو مذهب البغداديين - وحاول ان يثبت أن ليس هناك الا مدرستان نحويتان البصرية والكوفية اما المدرسة البغدادية، أو مدرسة من خلط المذهبين، فلا وجود لها مستدلاً بدليلين:

الدليل الأول : ان (ابن النديم) لم يكن ليعني بـ (من خلط المذهبين) أن يكون له مذهب ثالث ليس بالبصري ولا بالكوفي ، ولو كان ذلك مما دار في خلد ابن النديم لكان أبو اسحاق الزجاج عنده في مقدمة الفريق الذي كان يخلط المذهبين . ولكن ابن النديم لم يعده فيهم بل عده في العلماء البصريين وفي اصحاب ابي العباس المبرد , بل اقدم اصحاب ابي العباس المبرد قراءة عليه.

الدليل الثاني : ان الاساس الذي بنى عليه المحدثون فكرة المذهب البغدادي هو التلمذة لثعلب والمبرد والتعمق في مصنفاتهما ومصنفات شيوخهما من البصريين والكوفيين ، وليس بين تلاميذ الرجلين من أفاد منهما وتعمق في مصنفاتهما , ووقف على علم الكوفيين وعلم البصريين كأبي اسحاق الزجاج ، ومع ذلك لم يكن الزجاج معدودا في اعلام البغداديين ، وذلك يدل في وضوح على أن الأساس الذي بنى المحدثون فكرتهم عليه متهاافت لم يلبث أن ينهار.

ورأى ان ليس المذهب البغدادي ((ألا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا على نحو ما فعل ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين وانتهاجه منهجا وسطا بينهما)) .

وفي موضع آخر أصر على أنها ثلاث مدارس فقال: ((وأما اصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسمه بأسمائهم فليسوا جميعاً كوفيين بل اكثرهم ينتمون الى مدرسة جديدة هي (مدرسة بغداد) وهي المدرسة الانتخابية التي قامت على خلط المنهجين من المدرستين البصرية والكوفية ، لانهم اخذوا عن بصريين وكوفيين، وتأثروا بهؤلاء)).

٢- **بروكلمان :** قد أوحى في عبارة بما يشبه الانكار لوجود ثلاث مدارس لكنه يحتفظ بهذا التقسيم ، قال : ((وقد قسم علماء العربية مذاهب النحاة الى ثلاث مدارس : البصرية والكوفيين ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد)) .

ثالثاً : وفريق آخر صرح بنفي وجود مدارس ثلاثة ومن ممثلي هذه الفرقة:-

- **الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي :** الذي قال : انه لم تكن هناك فيما يرى ((مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها ، غاية ما في الامر أن رجالا خطوا بين المدرستين البصرية والكوفية , فأروا رأياً

من هذه ورأياً من الاخرى وان كانوا في مذهبهم الاصيل يميلون الى هذه ويميلون الى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين حسب ((.

رابعاً : وذهب فريقٌ إلى وجود ثلاث مدارس ومن ممثلي هذه الفرقة:-

١- الأستاذ أحمد امين : الذي رأى ان المدارس ثلاث :

أ- مدرسة البصرة التي توج النحو فيها بـ (سيبويه وكتابه) .

ب - ومدرسة الكوفة التي نشأت وعلى رأسها أبو جعفر الرؤاسي وتلميذاه الكسائي والفراء.

ج - مذهب منتخب تأسس في مدينة بغداد والتقى فيها المذهبان البصري والكوفي وعرض نحوهما ومنهجه واصوله امام الدارسين الذين قاموا بنقدهما والانتخاب منهما.

٢- الشيخ محمد الطنطاوي : الذي ذهب الى وجود فريق بصري وفريق كوفي وفريق خالط بينهما أو مزج بينهما , ورأى ان هذا الفريق الخالط كان بعضهم ينحاز الى أحد الطرفين ويفضله على أن يخلط بين المذهبين.

٣- الاستاذ سعيد الافغاني : قال ان الكوفيين نشروا مذهبهم في حاضرة الخلافة العباسية بغداد . وقصدها البصريون بعدهم ونشأت عن هذين الفريقين طبقة جديدة في بغداد اتسمت بالاختيار من المذهبين وكونت ما عرف بالمذهب البغدادي , ولم يسمهم مدرسة .

٤- الدكتور احمد مكي الانصاري : كان أكثر الباحثين المحدثين دفاعاً عن وجود مدرسة بغدادية وتصميماً على القول بوجود ثلاث مدارس نحوية - في العراق - . فقد تحدث عن وجود مدرستين بصرية وكوفية ، وأثبت وجودهما بعد ان طبق عليهما حد المدرسة . وبين منهج كل منهما في الدراسة النحوية، وخصائص هذا المنهج مما تشتركان فيه أو تختلفان ، وبنى على هذا القول بوجود مدرسة ثالثة تقف بين المدرستين وتختار منهما بعض خصائصهما لتكون لها مذهباً جديداً او مدرسة جديدة هي التي سميت ((المدرسة البغدادية)) التي لم تكن خصائصها الا امتزاج خصائص المدرستين البصرية والكوفية اللتين

محاضرة مادة : المدارس النحوي / المرحلة الرابعة / أ.م.د. ميساء طه خماس

ظهر أثرهما معاً في المذهب الجديد , وبنى على ذلك أن منهج الفراء قام على المزج بين خصائص المدرستين ومنهجهما النحوي ، ولهذا فهو عنده المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية .

خامساً : جعل بعضهم المدارس النحوية اربعا : اثنتان منها هي الأمامات، واثنتان منها فرعان والقائل بهذا هو ((الاستاذ طه الراوي)) , قال : ((" وهكذا نجد لكل علم من اعلام العربية آراء ينفرد بها تكثر أو تقل بمقدار ما اوتيته من بسطة في العلم وبراعة في الابداع ، ولكن مرجع ذلك كله الى الامامات الأربع , وأصول تلك الامامات اثنتان : البصرية والكوفية ، اما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفة ، ومذهب الاندلسية يرجع الى البصرية)) .

سادساً : و من الباحثين من جعل المدارس النحوية خمسا ومن ابرزهم الدكتور شوقي ضيف الذي قسمها الى:

- ١- المدرسة البصرية.
- ٢- المدرسة الكوفية .
- ٣- المدرسة البغدادية .
- ٤- المدرسة الاندلسية.
- ٥- المدرسة المصرية .